

هل يمكن لفلسفة مادية أن تنتج منظومة أخلاقية؟ "الأبيقورية نموذجاً"

جورج الفار*

ملخص

الإشكالية الرئيسية في هذا البحث هي الجواب على السؤال المطروح عن إمكانية وجود منظومة أخلاقية مرتكزة على فلسفة مادية وليس على فلسفة مثالية وميتافيزيقية، كما جرت العادة في تأسيس المنظومات الأخلاقية، وبالفعل، وجدنا في الأبيقورية تلك الفلسفة المنشودة التي أعمدت، في تأسيسها، على منظومة فلسفية مادية لا تمت للمثالية ولا للميتافيزيقيا بصلة، بل تعتمد فلسفة ديموقريطس المادية الذرية كأساس نظري لها ولا تعتمد العقل ولا الشرائع الإلهية كمعيار وحكم في المسائل الأخلاقية، بل الطبيعة، والاحساس باللذة، وتجنب الألم، كحكم عقوي للحياة الإنسانية والحيوانية على حد سواء. لذلك، تلجأ هذه الفلسفة لتحرر الإنسان من الخوف من الموت، والخوف من الآلهة، لئلا يفسد هذا الخوف والقلق حياة الإنسان، وبحرمانه من التلذذ بالحياة ذاتها. وقد كشفنا، في هذا البحث، أن اللذة التي يتحدث عنها الأبيقوريون، هي لذة البطن أساساً، ولكنها ليست لذة مستهترّة، ومبالغ فيها، بل لذة تتوخى البساطة، وتسعى إلى إقامة حياة هانئة وهادئة لا يعكرها الألم الناتج من السعي إلى الوصول إلى لذات أكثر، تكون نتائجها الحصول على ألم أكبر. وبيّنت الدراسة دور الفيلسوف اليوناني أبيقور الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد وعاصر كلا من الفيلسوف اليوناني أرسطو والفيلسوف زينون مؤسس الرواقية التي ناهضت مدرسته الفلسفية في تأسيس الأبيقورية في أثينا اليونان ليستجيب لأسئلة الجمهور اليوناني لضروريات المرحلة التاريخية وأندثار المدنية بعد موت الأسكندر المقدوني سنة 324 ق. م.

الكلمات الدالة: أبيقور، الفلسفة الأخلاقية، الفلسفة المادية، الهلنستية، الميتافيزيقيا.

إشكالية البحث:

يحاول البحث حل إشكالية: "أساس المنظومة الأخلاقية"، ويتساءل هل يمكن بناء منظومة أخلاقية على أصل فلسفي مادي؟ أم أنه على الأخلاق أن تتأصل في الميتافيزيقيا، كما فعلت دائماً حيث أصلها أفلاطون في عالم المثل، وأصلها أرسطو في الغائية الكونية والإنسانية (أن تسير نحو السعادة، بسيرها نحو الخير، والجمال، والكمال)، أم كما فعل "كأنت" مثلاً، فقد أسسها على فكرة الحرية والواجب اللتان استمدهما من العقل، وتجعلتا الأمر الأخلاقي المطلق ممكناً. وإذا كان الجواب بنعم، يمكن أن تتأصل الفلسفة الأخلاقية على أصول مادية طبيعية، فما هو النموذج الأخلاقي

والفلسفي الممكن إعطائه من تاريخ الفلسفة؟

أفضل النماذج التي وجدناها، في تاريخ الفلسفة، هي الفلسفة الأبيقورية الذي أسسها أبيقور في القرن الرابع قبل الميلاد، فبعد أن بنى فلسفة مادية صلبة نسبياً على خطى ديموقريطس، أسس نظريته الأخلاقية المتجانسة والمنسجمة مع فلسفته المادية، وبنائها على الإحساس، وعلى الطبيعة والشعور باللذة. وبالذات لذة المعدة لذا قمنا باستعراض الفلسفة الأخلاقية الأبيقورية في القرن الرابع قبل الميلاد بتأسيسه لمذهب أخلاقي هو المدرسة الأبيقورية الأخلاقية.

منهج البحث:

سيكون منهج هذا البحث تحليلياً مقارناً، بحيث تحلل الظروف السياسية والتاريخية والفكرية التي أثمرت الفكر الأخلاقي اليوناني عامة، والفكر الأبيقوري الأخلاقي والمادي

* قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

تاريخ استلام البحث 2022/3/27 وتاريخ قبوله 2022/10/26.

عليها الفضائل الأخرى، وقد واجهت "كانت" هذه الإشكالية، أعني اشكالية بناء منظومة أخلاقية، أقامها على الميتافيزيقيا الجديدة فقد كان لسان حاله يقول: نحن نستطيع أن نفسر كيف يصبح الأمر الأخلاقي ممكناً، إذا انتقلنا خطوة من التجربة إلى الميتافيزيقيا، فلم نبدأ بالتجربة، من تصور الإنسان لطبيعته من حيث هو كائن عاقل. وقد أجبرته فكرة الحرية على الذهاب إلى الميتافيزيقيا لأن فكرة الحرية التي استمدتها من العقل والتي تجعلني كإنسان عضواً في العالم المعقول هي الشرط الوحيد الذي يجعل الأمر الأخلاقي المطلق ممكناً. فبالنسبة لـ "كانت" فيجب عليّ أنا الإنسان ألا أقدم على الفعل إلا لأنني أجد أنه فعل صحيح وحق بذاته، وأنه يتفق مع قاعدة سلوكي التي أستقيها من العقل الخالص ورفعتها إلى مستوى القانون الضروري المطلق. لذلك يتساءل "كانت": "أليس من صواب الرأي أن من أشد الأمور ضرورة إعداد فلسفة أخلاقية خالصة، نقية نقاء تاماً من كل ما يمكن أن يكون تجريبياً، ومن كل ما يتصل بعلم الإنسان (الانترولوجيا) بسبب" (كانت، 1980، ص 8).

فالميتافيزيقيا تقدم له قوانين قبلية مركبة ليست بحاجة إلى التجربة لذلك، يقول "كانت": "فلا بد لهذه الميتافيزيقيا أن تسبقه وتتقدم عليه، وبغيرها لن يقوم لفلسفة أخلاقية وجود، بل إن الفلسفة التي تخطط تلك المبادئ الخالصة بالمبادئ التجريبية لا تستحق أن تسمى فلسفة (...). ولا تستحق أن تسمى فلسفة أخلاقية" (كانت، 1980، ص 9). فقد شعر "كانت" أن من واجب ميتافيزيقيا الأخلاق أن تتناول بالبحث فكرة ومبادئ الإرادة الخالصة الممكنة التطبيق.

لكننا نجد أن الأمر يختلف عند الأبيقوريين كما عند الكليبيين، فهم يكرسون ويبتغون فلسفة عملية تبنى على الواقع والمحسوس، وتهدف إلى حياة سعيدة هانئة، ولا يقبلون بالفلسفة كتوجه نظري بحت ومعرفة تأملية منعزلة، إنما يحاولون توظيف معرفتهم "المادية الطابع" في بناء منظومة أخلاقية واقعية تقوم على المادة والإحساس والمبادئ الطبيعية البديهية، والحقائق الممكنة والمحتملة، لا على حقائق "عقلية ومثالية" نظرية أو تأملية استنباطية أو استقرائية، كما كان يحلم كل من أفلاطون وأرسطو و"كانت".

خاصة. ثم سنحل مقدرة أبيقور على بناء فلسفته الأخلاقية منسجمة انسجاماً تاماً مع فلسفته "النظرية" المادية.

لم نكتفٍ بالتحليل، بل قارنا هذه الفلسفة مع فلسفة معاصريه من الفلاسفة أعني أفلاطون وأرسطو، وفلسفة أحد الفلاسفة الحديثيين، أعني الفيلسوف الألماني "كانت" الذي خالف أبيقور، وحاول بناء منظومته الأخلاقية على العقل، وعلى الميتافيزيقيا.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث برأيي، في:

- 1- إعادة إحياء الفلسفة الأخلاقية الأبيقورية وبيان رؤية أبيقور الأخلاقية، بتقديمها نموذجاً.
- 2- الابتعاد عن المؤلف في الأبحاث الأخرى التي لا تتناول البناء التأسيسي للمنظومة الأخلاقية وأصله الفلسفي.
- 3- الإيحاء بأن الفلسفة الأبيقورية يمكن أن تكون فلسفة راهنة، في ظل الظروف العالمية المشابهة التي يعيشها الإنسان المعاصر من تفكك في المنظومات السياسية، والاجتماعية، والفكرية، والاقتصادية العالمية، والوطنية.
- 4- تجريب أي نوع من فلسفة طبيعية قريبة من الإنسان والطبيعة دون ابتذال ودون تحميلها وزراً ميتافيزيقياً ثقیلاً.
- 5- إعادة التفكير بالفلسفات المادية كافة، وصلاحياتها لبناء الإنسان بناءً أخلاقياً متماسكاً، دون القول بأن الأخلاق يجب أن يكون مصدرها دينياً أو ميتافيزيقياً أو عقلياً.

المقدمة

اعتادت المنظومات الأخلاقية أن تؤسس نفسها على أساس ميتافيزيقي أو ديني، يضمن لها بعداً روحياً، ويؤسس لها، نظرياً وتشريعياً، وتؤسس ذاتها على أوامر سماوية تتعدى المادي إلى الروحي والإلهي.

هكذا فعلت الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية، وكذلك إلى حد ما الفلسفة الأخلاقية الأرسطية اللتان تأسستا على نشدان "الخير والحق والجمال"، وهي قيم روحية عليا على الإنسان أن يحاول توجيه أعماله كلها إليها، ليبلغ السعادة، ناهيك عن طلب التقوى عند سقراط والعدالة عند أفلاطون، والحكمة والفضيلة الوسطية والتوازن عند أرسطو التي تبنى

رسول الإدراك العام (the apostle of common-sense) وهو يمتدح الحياة السعيدة، ومع ذلك فقد يكون من الخطأ افتراض أن عقيدته ينقصها حدة الإدراك أو أنها مجرد تعبير عن الراحة الذهنية "quitism" ولم يكن يوليوس قيصر ولا قاتله كاسيوس (Cassius) ينعمان براحة ذهنية. وأبيقور في نظر لوكريتيوس هو أعظم محب للخير عرفته البشرية (ورنر، 1985، ص 186). والسبب في هذا، هو أنه حرر الإنسان من الخوف من الآلهة، ومن الخوف، مما قد يجري للمرء بعد الموت، لقد أدى هذا العمل النبيل الذي هو في غاية البساطة وذلك بتغيير كل شيء حتى لم يعد هناك أي مجال للشك أو التلف. فطبيعة الأشياء معروفة ويمكن تفسيرها لأي شخص فيطمئن بما فيه الكفاية، لينصت إلى المحاورة" (ورنر، 1985، ص 188).

ومع هذا المدح والتبجيل من أحد تلاميذه ومريديه إلا أن كثيرا من المعترضين والمنتقدين الأبيقوريين من معاصري أبيقور نفسه كانوا قاسيين في نقدهم له مثل تيمون (Timon) الذي قال "ثم جاء من بعد ذلك آخر علماء الطبيعة وأكثرهم وقاحة وافتنار للحياء. وأعني به ابن معلم النحو الذي وفد من جزيرة ساموس وأجهل المخلوقات طراً" (جديدي، 2019، ص 48).

لأبيقور شخصية خلافية لأن هناك آراء كثيرة ومتباينة سردها أصحابها حوله، ومنها من سخرت منه ومنها من حاولت تنقيته ووصفه بأرذل الأوصاف بحيث نسبت إليه رسائل فضائحية، ولم يتوان بعضهم عن وسمه بالأخلاقي والكاذب والعريبي فقد ذكر تيموقريس وكان تلميذا له في وقت ما من الأوقات أنه كان يوم يأكل إلى حد التقبؤ. بينما نجد في المقلب الآخر أن تلميذه هبرمارك قد كتب واصفاً حياة أستاذه بأنها "ومقارنة بحياة غيره من الناس تبدو لنا كأسطورة بفضل لطافتها واعتدالها" (جديدي، 2019، ص 49). ربما جاء هذا الاختلاف من سوء فهمهم لشخصية أبيقور والأبيقورية كلها. فهل تفهم الأبيقورية على حقيقتها حتى اليوم؟ فقد ارتبطت في أذهان كثير من الناس بطلب اللذة، لذلك فمن يتهتك ويطلب اللذة يسمى أبيقورياً إلى الآن.

أسس أبيقور مدرسته على أطراف أثينا، واقتنى بيتاً ضيقاً إلى جانبه حديقة كُتب على مدخلها "أيها الغريب هنا ستأخر

أقول إن نظرية أبيقور الأخلاقية مرتبطة ارتباطاً منطقياً بمنهجه العام وفلسفته المادية. لم تولد مثل هذه الفلسفة، في اللانزمان واللامكان، بل في ظروف تاريخية معينة، وفي أثينا اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد، وربما جاءت نتيجة للأحداث التاريخية، أي انهيار وتدهور نفوذ أثينا والمدن الإغريقية المستقلة بعد موت الإسكندر الكبير حوالي سنة 323 ق.م.، والانهيار التام للحضارة اليونانية أمام الحضارة الرومانية.

فقد بدأ في تلك المرحلة، أي بعد انهيار المدن اليونانية، ظهور "الفرد اليوناني" واكتسب تحرره من اعتماده على المدينة بطريقه ما، فقد أصبح مطلب الفرد اليوناني الشعور بالأمان بعد أن رأى مدنه تفقد استقلالها الواحدة تلو الأخرى. لذا جاء أبيقور ليقدّم له منظومة أخلاقية جديدة تشعره بهذا الأمان الذي بات يطلبه. وهنا يطرح السؤال الأساس كيف: تمكن أبيقور من بناء فلسفته الأخلاقية على منظومة فلسفية مادية طبيعية دون أن يلجأ إلى الآلهة أو إلى الفلسفة النظرية ليؤسس عليها مبادئه؟

من هو أبيقور، وما هي الأبيقورية؟

"جاء في كتاب حياة ومذاهب مشاهير الفلاسفة القدامى "الديجور الأيرسي"، بأن أبيقور قد نشأ وترى في جزيرة ساموس بعد أن أوفد الأثينيون، مستوطنين إلى هذه الجزيرة، وأنه قدم إلى أثينا عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره في أثناء الوقت الذي كان أكسينوقراطيس (Xenokrates) وكان أرسطو يلقي محاضراته في خالكيس (Chalkis) بعد وفاة الإسكندر المقدوني وطرد المستوطنين الأثينيين من ساموس على يد برديكاس (Perdikkas) ارتحل أبيقورس إلى كولوفون (Kolophon) ليحلق بوالده هناك" (جديدي، 2019، ص 47).

انه لمن الواضح أن أبيقور ولد سنة 341 ق.م، وقضى شبابه في جزيرة ساموس وتتلذذ على أيدي أحد تلاميذ ديمقريطس "توزيغانس"، ثم عاد إلى أثينا 306 ق.م، وأسس مدرسة جمع فيها عدد من الأصدقاء والمريدين من نساء ورجال، ومات فيها، سنة 270 ق.م.

زامنت الأبيقورية، الرواقية ويمكن أن يطلق عليهما عقدين (Creads) أو فلسفتين فلقد وصف "سيريل بيلي" أبيقور أنه

تلاميذه ومجده، بل وصلوا إلى حد تأليهه. وقد أصبحت فلسفته أشبه بدين تمسكوا به واتخذوا القواعد الأبيقورية وحفظوها وتوارثوها.

فقد قال عنه لوكريتيوس "أنت من استطاع من أعماق الظلمات الحالكة جد الحالكة أن يجعل النور ينبثق بمثل هذا السطوع، وأن يهدينا إلى الخيرات لهذه الحياة، إنني أمتثل بك يا مجد الشعب اليوناني، واليوم أضع قدمي على الآثار عينها التي خلفتها خطاك" (أبو حسين، 2004، ص 36).

وإذا تسألنا لماذا استطاعت الرواقية أن تحققت مثل هذا الانتشار؟ لأجبنا أن الرواقية استطاعت أن تحقق بعض المطالب العميقة والدائمة للإنسان في الزمن القديم والزمن الحديث أيضاً. فقد قدمت نفسها على أنها طب الروح وعلاج النفس البشرية وطلب للحياة الهادئة.

على ماذا تقوم فلسفته؟

قسم أبيقور فلسفته إلى ثلاثة أقسام أولها في المعرفة (Connaissance) أو القانون (Canon) وفي الطبيعة (Physique) وفي الأخلاق (Ethic). وتقوم طريقته في النظر إلى الأشياء وفق رؤيته الشاملة التي تتأسس على المادة والإحساس: "يجب في أول الأمر يا هيرودوت أن تعرف جيداً المفاهيم الموضوعية تحت الكلمات لكي نصل بها إلى موضوع آرائنا ومشاكلنا وشكوكنا، قبل أن نأخذ القرار بشأنها، ولكي لا نترك إلى ما لا نهاية براهيننا بدون قرار، أو لا يكون في حوزتنا إلا كلمات فارغة من المعنى" (بياروناييس، 1980، ص 87).

لا بد من أن نذكر أن أبيقور تأثر بفلسفة ديموقريطس بل أنه تتلمذ على يد أحد تلاميذ ديموقريطس المدعو "توزيغانس" الذي وجد أبيقور في تعليمه مبادئ طبيعيات تركز على نظرية ذرية (Atomistic) غير أنه ما لبث أن اختلف مع معلمه الذي سينهال عليه أبيقور فيما بعد بلواذع تقيعه (بران، 1992، ص 36).

وقد شرح لنا لوكريتيوس (95-51 ق.م) في قصيدته الشهيرة "في طبيعة الأشياء" فلسفة أبيقور شرحاً واضحاً. رأى أبيقور أن الذرات هي المكون الأساسي للكون وأنها من طبيعة متشابهة ويمكن للعالم أن يخلق نفسه انطلاقاً منها أو يمكنها

طبيعية خاطر هنا اللذة هي الخير الأسمى". وهو ما يفيد أنها على تعارض مع ما كتب على باب أكاديمية أفلاطون "من لم يكن رياضياً لا يدخل" (جديدي، 2019، ص 50).

بقيت مدرسه أبيقور، مفتوحة أمام الشغوفين بتعلم وتدارس الحكمة الأبيقورية لأزيد من خمسة قرون، بل يروى أن فروعاً لها فتحت في مناطق أخرى غير أثينا، وكانت تدرس فيها تعاليم أبيقور المدونة في مؤلفاته المنقوشة على الحجارة بمثابة نصوص مقدسة. وكانت هذه التعاليم تتجدد وتتعزيز على مر العصور. يكفي أن أحداً من أتباعه كتب نصاً في القرن الأول الميلادي يعتبر من أجود النصوص الأدبية. ونقصد ما كتبه لوكريتيوس في قصيدته المشهورة في طبائع الأشياء (De rerum nature) حيث حفظ فيها آراء وحكم أبيقور ومجده (لوكريتيوس، 2018).

أما مؤلفات أبيقور فقد حافظ ديوجين لايرتيوس على رسائله الثلاث "رسائل إلى هيرودت"، "رسالة إلى بيتوكليس" و"رسالة إلى مينكايبوس" وعلى عدد من حكمه الأساسية التي سمحت لنا بالتعرف على محصل الفكر الأبيقوري. إلا أننا نجد أن الفلسفة الأبيقورية لا تحتوي إلا على اسم أبيقور الذي لم يكن خلفاؤه إلا أتباعاً أمناء على تعاليم معلمهم الأكبر. أما أتباعه الأثينيون مثل ابكتيوس وريليوس فقد حافظوا على فكر مؤسس الرواقية وقد ساهمت الأفكار الخاطئة حول فلسفه أبيقور في إتلاف مؤلفات فيلسوف خصب ترك آراء كثيرة لم تصلنا (أبو حسين، 2004، ص 31). لم تستغ المسيحية الناشئة في القرن الأول للميلاد فلسفة أبيقور حول اللذة، وهي التي تقيم دينها على الزهد الروحي، وليس على اللذة المادية. وكذلك كان الإمبراطور أوغسطس قد قام بحركة رجعية استعاد فيها الفضيلة القديمة والديانة القديمة للإمبراطورية الرومانية.

فكان من أثر ذلك أن امتنع الناس عن قراءة قصيدة لوكريتيوس "في طبيعة الأشياء". وظلت الأمور كذلك حتى جاءت النهضة الأوروبية فاعادت الاعتبار لهذا الشاعر وللمذهب الأبيقوري نفسه.

أما وصية أبيقور فقد ضمن فيها بقاء مدرسته، وقد أوصى برئاستها وبالحديقة التي كانت لها إلى "هرمارخوس" من أهل ميتلين. وتوحي هذه الوصية بطبيعة قلب أبيقور، وحبه لأصدقائه ومريديه، حيث كانت الحياة في المدرسة بسيطة، وقائمة على الحب المتبادل، بين أفرادها، ولذلك أحبه

أن اسم أبيقور يفيد معناه "المخلص والمعالج والمسعف"، ويمكن أن يقول المرء أن فلسفة أبيقور الأخلاقية مرتبطة ارتباطاً منطقياً بمنهجه العام، وفلسفته المادية، التي تقوم على أن الإحساس دائماً يأتي نتيجة لاتصال مادي، كما أن الإحساس هو الأساس الوحيد للمعرفة في فلسفته، فالنفس عند أبيقور تتكون من نوع معين من الذرات هي الذرات الهوائية والنارية وذرات أخرى أكثر خفة وكثافة، هي علة الإدراكات الحسية وأساس الوظائف العقلية للنفس. أما الحواس والتصورات السابقة والمشاعر فهي معايير الحقيقة ويفسر الإحساس بأن "قشوراً رقيقة غاية الرقة تبحث باستمرار من سطح الأشياء وتتحرك بسرعة في الهواء محتظة بصور الأشياء المنبثقة عنها" (كرم، 2016، ص 240).

والحس هو المحك والمعيار الضامن لكل حكم صحيح (ورنر، 1985، ص 189)، إلا أن جزء صغيراً من النفس يتميز عن النفس والحرارة بركته مما يجعله شديد الاتصال بالجسد، وهو ما يثبت به بكل بدهاء قوى النفس، وانفعالاتها، وسرعة حركتها، وتأملاتها.

فالعقل لا يحتل مكانة مركزية في فلسفته، مع أنها تقوم على مجموعة من المبادئ:

أ- تقوم فلسفته الأخلاقية على الاعتقاد بأن الآلهة لا تهتم بشؤون البشر، فهي موجودة وتعيش بعالمها.
ب- كما تقوم على التحرر من الخوف والفرع من الموت، فعندما نموت لا نشعر بالموت فلماذا الخوف منه منذ الآن. "إذا جاء الموت فلن أكون موجوداً، وإذا كنت موجوداً فلن أحس به" (ورنر، 1985، ص 190).

ج- لا يؤمن أبيقور بخلود الروح، ففلسفته أصلاً تقوم على المادة، فليس هناك روحاً لتخلد بعد الموت.

د- طلب اللذة بأنواعها المختلفة (بمعنى الحياة الهائنة) ومن ضمنها طلب الحكمة العملية.

لم يكن أبيقور ملحداً عديم الإيمان بالآلهة، بل لم يترك مناسبة يدعو فيها للتأمل في الآلهة والسير على منوالها، والتشبه بها من أجل الفوز بالنعيم الذي تنعم في مجتمعا. وعلى حد رواية "فيلوديموس" كان أبيقور مواظباً على الطقوس الدينية، وعلى الحفلات والأضحيات. وبين كذلك أن أبيقور قد راعى بإخلاص كل طقوس عبادته، وأنه حرّض أصدقائه على

هي أن تنشأ عالماً، إن هذه الذرات لم تستنفذ في خلق عالم واحد ولا في خلق عدد محدود من العوالم ولا في خلق عوالم متشابهة أو متباينة حتى لا شيء يمنع وجود عدد لا متناهي من العوالم (جيجن، 1976، ص 76).

وفي نظر أبيقور أن الوزن خاصة من خصائص الأشياء الحساسة، ومن ثم فهو يضيف الوزن إلى الخصائص الأولى للذرات، ويعتبر الوزن علة حركتها، ويفترض أنها تميل بطبيعتها إلى السقوط "إلى الأسفل" في فضاء، ولكن سيلاً من الجسيمات يتحرك في خطوط متوازية مستقيمة بسرعة منتظمة.

يؤكد أبيقور أن أية لحظة، ولسبب غير معلوم، قد تحرف الذرات عن مسارها ونتيجة لهذا الانحراف الطفيف ستصطدم بذرات أخرى، ومن ثم ينشأ المركب الكامل للحركة الذي ينتج عنه كل الأشياء. وفي ذلك خالف ديمقريطس الذي يقول إن الذرات التي تتحرك في الفضاء يمكن أن تكون علة كل شيء ولا يحتاج الأمر إلى البحث عن علة أخرى، فأضاف أبيقور عنصراً جديداً إلى العلية هو الانحراف الطفيف "لتنجذب نظرية الجبر التي نادى بها ديمقريطس. فاختر للذرات حرية الحركة". كما أنه استبعد وجود ذرات كبيرة جداً فلو كان لها وجود لاستطعن أن نراها.

اتفق موقف أبيقور مع فلسفة ديموقريطس على اعتبار أن الذرات والفضاء حقيقتان نهائيتان، وهما في الواقع غير مدركين، ولكنهما أبعد من أن تتكرها مداركنا، فلا شيء يأتي من لا شيء، ولا شيء ينعدم ويعود عدماً (ورنر، 1985، ص 187). لذا فالإدراك العام (Common Sense)، في فلسفة أبيقور، يأتي نتيجة للإدراك الحسي البديهي العفوي والذي ليس بحاجة إلى برهان عقلي.

وكان "سيريل بيلي" قد أوضح في دراسته عن أبيقور، أن أبيقور الذي يعد واحداً من أكثر المفكرين الذين عاشوا ثباتاً على المبدأ، قد أدخل تعديلات جوهرية على النظرية المادية لكي يجعلها موائمة لنظريته الأخلاقية التي نادى بها هو نفسه (ورنر، 1985، ص 188).

الفلسفة الأخلاقية عند أبيقور:

تقدم الفلسفة الأبيقورية نفسها كأنها "طب الروح"، فقد استعمل أبيقور نفسه الفلسفة كنوع من العلاج والتطهير، ويقال

محدود بقدر ما نحررها من الرغبة في الخلود، وبذلك لا يمكن لأي شيء في هذه الحياة أن يحدث الرعب في النفس التي أدركت أن الموت لا يبعث على الخوف "عندما نكون، فالموت لا يكون وعندما يكون الموت فنحن لا نكون"، وعلى هذا فإن الموت لا يعني الأحياء والأموات، لأنه لا يمت بصلة إلى الأحياء ولأن الأموات لم يعودوا بعد موجودين (كارس، 1998، ص 51).

إن خوف الإنسان من الموت قد جعله يرغب في الخلود، ويصوب اهتمامه نحو حياة أخروية، فنحن عادة لا نعبأ بالزمن الماضي الذي لم نعشه، ولا نندم على القرون الطويلة التي لم نوجد فيها، ولكننا نرغب في العيش إلى الأبد ونخشى الرجوع إلى العدم، ففكرة الذهاب إلى العدم ترعبنا لذلك نثبت لكل ما يمنحنا وعداً بالخلود.

إن ما أراد أبيقور توصيله إلى الإنسانية، حسب هنري توماس هو: "إن يد الموت البيضاء تقودنا بلطف إلى نوم لذيذ لم تعكر صفوه الأحلام، فما الموت إلا الحارس المحب الذي يوقع الإذن بإطلاق سراحنا من عالم المجانين الذي هو هذا العالم، إلا أن الموت لهو الطبيب الرقيق الذي يشفينا من أشد الأمراض فتكاً، أعني به مرض الحياة" (توماس، 1964، ص 150).

لقد دعا أبيقور الإنسان إلى أن يستمتع بحياته الحاضرة لأن ما بعدها فناء وأن يشارك الذرات رقصاتها غير الهادفة عبر لا نهائية الفضاء.

كما نبّه أبيقور إلى عدم الخوف من "القدر" أي فكرة الترابط الكلي للأشياء. فأبيقور يقول: "إن الذرات تبدأ بانحرافها حركة تلغي قوانين القدر، حينما تمنع العلة من إتباع العلة إلى ما لا نهاية له، إن تلقائية الذرات هذه هي الينبوع الذي تصدر عنه حرية الإنسان". ويصرح أبيقور: "ليس لنا أن نخشى القدر لأننا أسياد سلوكنا" (فرنر، 1968، ص 208).

فأبيقور يؤمن أن الإنسان سيد سلوكه، وليس للقدر عليه من سلطان لأنه حر الإرادة فيما يفعله ويسلكه وليس هناك معلولاً وعلّة كما صرح ارسطو.

الإرادة:

علم أبيقور بأن الموجودات البشرية قوى فاعلة أخلاقية ومستقلة، وأن رغباتهم وأحاسيسهم نابعة عن كل ما هو

التقيد بها، فالصلاة إحدى مميزات الحكمة وليس لأنها تقينا من غضب الآلهة، وإنما لأننا ندرك تفوق طبيعة الآلهة على طبيعتنا قوةً وكمالاً (سعيد، 1991، ص 89). ومع ذلك يوحي أبيقور بعدم الخوف من الآلهة وعيش الحياة دون هذا الخوف. أما ملخص فلسفته فإن الآلهة بعيدة بعداً لا تستطيع أن تراقبكم أو أن تتحكم في اعمالكم، أو أن تقذف بكم إلى الجحيم. أما الآلهة الخبيثة والشياطين فهي أوهام تعسة تصورها لنا الأحلام (ديورانت، 2001، ص 169). وقد أنكر أبيقور وجود أي عناية إلهية في العالم، بل كان العالم لديه يسير سيراً آلياً وفقاً لقوانين الحركة الذرية، وقد نفى الآخرة، وخلود النفس، والحساب الأخروي.

وعندما تسأل أبيقور عن الغاية التي صنع الآلهة العالم من أجلها، فقد أجاب "أنهم كانوا قد صنعوه لكي يكون مستقراً لهم، فإن هذا يعني أنهم لم يكن لهم مأوى منذ القدم"، أما إذا كان من أجل العالم والمخلوقات، فكيف تخلق الآلهة هذا العالم ونحن نعلم ما ينطوي عليه من فساد وذبوع الشرور، وكذلك ما يوجد فيه من صحراوات قاحلة وحيوانات مفترسة وأمراض ووفيات للصحار. هذه الشرور والكوارث كلها أليست في ذاتها الدليل القاطع على انعدام تدخل الآلهة الحاصلة على الكمال المطلق (أبو ريان، 1974، ص 268-269).

عدم الخوف من الموت

واجه أبيقور الموت بدون خوف ولا فزع، رغم نفيه لخلود النفس واليوم الآخر، وقد أثبت أن الموت يضع حداً للحياة إلا أنه ليس من الضروري أن تنغص فكرة الموت حياتنا وأن تلحق بها القلق والاضطراب.

وقد قام أبيقور بمحاولة تخلص الفكر البشري من الموت، وذلك بإنكار وجود حياة أخرى تعقب الحياة الدنيا، وبإثباته لانحلال النفس بعد الموت ولفقدتها الإحساس، يقول أبيقور: "أن الموت لا شيء بالنسبة إلينا، تعود على اعتبار الموت لا شيء بالنسبة إلينا، إذ يكمن كل خير وشر في الإحساس، والموت هو فقدان الكلي للإحساس" (، In: Sauters, 1966, p 108).

فالموت لا يمت إلينا بصلة، ومعرفة ذلك تجعلنا نقدر مباحج هذه الحياة القصيرة حق قدرها، فلا تضيف إلينا زمناً لا

كما توجب الصداقة النزاهة والحب والعطف كي تكون دائماً مصدرًا للذة والسعادة. فالحكيم الأبيقوري كانت لديه صداقات متنوعة وكان أميناً لأصدقائه، وكانوا هم في أغلبهم أميين لصداقته، فالحكيم بالنسبة له كان يصبر على فقد أعز أصدقائه لأنه يذكر دائماً السعادة التي حظي بها في صحبتهم.

ما يهنا هو إيلاء أبيقور هذه الأهمية للصداقة والذات المختلفة مما يدل على وسع أفقه وسعة صدره. فالصداقة عند أبيقور، من اللذات الاجتماعية المرغوب بها.

وقد قال فيه فولتير يوماً: "كان أبيقور على مدى حياته فيلسوفاً حكيماً" (في: طرابيشي، 2006، ص 41). وبسبب اعتداله فقد كان عادلاً وحده بين الفلاسفة وبين جميع تلاميذه وأصدقائه، وكذلك كانت شيعته ولم تنقسم إلى عده شيع.

اللذة أم الحياة الهائلة؟

اللذة الحقيقية عند أبيقور هي اللذة الجسمية، بل لا وجود إلا لنوع واحد من اللذة هي اللذة الجسمية فقد أقر أبيقور أن الإنسان والحيوان، يطلبان بطبيعية، الحال اللذة ويتحاشيان الألم منذ ساعة الميلاد بميل طبيعي" (في: كرم، 2016، ص 241).

لذلك، فالسعي وراء اللذة هو سعي طبيعي لا عقلي، وعلى ذلك لا موجب لتأنيب من يرغب في اللذة. وكأننا نعيب عليه رغبته فقد قال: "إن الإنسان يتجه نحو اللذة قبل حصول أي فساد لطبيعته، فالطبيعة هي ذاتها التي تحكم من خلاله بصفتها وكمالها" (سعيد، 1991، ص 112).

تنجم فكرة اللذة والألم عن الإحساس بالألم، بل يمكن القول بأننا نفكر لأننا نحس ونشعر، ولأننا نتلذذ ونتألم، فقد رفع أبيقور الإحساس عالياً بالمقارنة بما فعله كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو بشأن العقل، بعد أن كانوا يحطون من شأن الإحساس.

كل لذة إذن هي لذة فيزيائية أي طبيعية، هي انطلاق الإنسان من الطبيعة وعودته إليها وليست الذات الروحية إلا تنوعات من هذه اللذة الطبيعية. وبذلك يمكننا القول إن اللذات جميعاً وحتى لذات النفس تبقى دائماً جسمية. فلذات النفس مشروطة براحة الجسم، بل هي راحة الجسم عينها.

طبيعي، ومن شعورهم بها، وإلا لما كانوا مسؤولين عن أخطائهم أخلاقياً وقانونياً.

كما رفض فكرة القدر عند الرواقيين والتي ترى أن القدر هو العقل الكلي من حيث إنه علة عامة لجميع الموجودات ومن حيث إنه يحدث التسلسل في العلل الخاصة الجزئية.

فالإرادة عند أبيقور حرة تماماً من تأثير القدر، وإذا كان الإيمان بوجود قانون القدر الصارم سوف يلغى تماماً احتمالية الاستدلال العقلي، بل ويلغى تماماً دور العقل وترد هذه الحتمية كل فعل إلى الآلية الجامدة.

ولا يعترف أبيقور بالحتمية فقد رأى أن القضيتين المتناقضتين حول حدوث مستقبل لا تتصف أي واحدة منها بالصدق إذا كانت إحداهما صادقة بالضرورة في المستقبل لكان الحدث المستقبلي محددًا قبل أن يكون، ولانفتحت حرية الإرادة والاختيار، فالصادق حقاً هو الواقع حقاً أي حدث فعلاً. فهو يؤمن بالحركة التلقائية للذرات، لذلك لا يؤمن بالحظ ولا بالصدفة ولا القدر المحتوم. فالصدفة متغيرة متبدلة، ولكن أفضل شيء يمكن للإنسان الاعتماد عليه هو ذاته، فهو الذي يستمد قوته اللازمة للتصدي للظروف الطارئة والخارجة عن ذاته، معبراً بذلك عن قدرته الباطنية وإرادته الحرة.

الصداقة:

أعلن أبيقور أن من كل ما يمكن أن توفره لنا الحكمة لتأمين سعادة الحياة، إن اكتساب الصداقة هو أكثر الأشياء ثمناً، وقال عنها: أنها سر مقدس تشرف كل صداقة إنسانية وتضيء اللحظات الأكثر ظلمة في الحياة ولقد "كان عدد أصدقاء أبيقور فقيراً جداً حتى ليتعذر تعدادهم بمدن كاملة" ريوخانيس اللايرتي (طرابيشي، 2006، ص 41).

وذهب أبيقور إلى أن الصداقة يستحيل أن تتفصل عن اللذة، لذلك وجب غرس بذورها في النفوس لأنه بغير صداقة يتعذر العيش الأمن الخالي من الخوف كما يتعذر العيش اللذيذ.

ويرى أبيقور أن الصداقة تشترط البساطة، فوجبة من الخبز والشعير كانت كافية لسد رمقه لو أنه تناولها في حضرة أحد الأصدقاء، فإذا كان من المهم أن تعرف ماذا تأكل وتشرب فإنه من الأهم أن تعرف مع من تأكل.

أما عن طبيعة اللذة، فيحدثنا أبيقور نفسه: "عندما نقول إن اللذة هي الخير الأعلى، فنحن لا نقصد لذات الفاسقين ولا اللذات التي تقوم في المتعة الجسدية، كما يقول البعض إما أنهم لا يوافقون على مذهبنا، أو لأنهم يسيئون فهمه. إن اللذة التي نتحدث عنها تقوم في غياب ألم الجسد واضطراب النفس. إلا أن غياب الألم هذا ليس اللذة كلها، لأن اللذة التي يتحدث عنها ليست لامبالاة وجثة هامة، بل هي مشاركة مباشرة بما تقدمه الطبيعة. وهذا التوازن ما بين غياب الألم واللذة هو الشرط المباشر للذة. فاللذة تحدث بشكل طبيعي ومن تلقاء ذاتها عندما يتحقق التوازن الفيزيولوجي في الكائن الحي بفعل العمل الطبيعي للأعضاء.

اللذة عند أبيقور، هي نوع من المعطى الطبيعي فهو يدل على أن اللذة هي الخير الأعلى بحقيقة أن الكائنات الحية تتوخى اللذة وتتجنب الألم منذ ولادتها بميل طبيعي ودون محاكمة. ويقول "Jean Brun" يوجد في أساس الأبيقورية برمتها تقاؤل (Optimism) كامن، هو نوع من غائية (Finalite) تحتية في كل مذهب طبيعي، يؤكد أبيقور أن ولوج اللذة سهل، لأن الطبيعة تضع سبل ولوج هذه التجربة العليا في متناول أولئك الذين يعرفون اكتشافها. وهكذا يتضح أن اللذة الحقّة واحدة، وأن ما ندعوه لذات ليس إلا تنوعات هذه اللذة الواحدة (بران، 1999، ص ص 104 - 105).

ويحدثنا أبيقور من اللذات الجالبة للألم المستقبلي فما من لذة في ذاتها شر، غير أن بعض اللذات تجلب معها من الآلام أكثر من اللذات، ويضيف من دون دراسة الطبيعة لا يمكننا أن نحصل على لذة صافية. ولكن الذاكرة تلعب دوراً عند الأبيقوريين، فنفسنا تسمح لنا أن نتذكر لذات ماضية بغية أن ننجو من الآلام خاصة إن لم يكن باستطاعتنا اجتنابها.

وحتى يكون الإنسان سعيداً طيلة حياته يكفيه أنه كان سعيداً مرة واحدة. فالحكيم قادر دائماً على أن يكون سعيداً لمجرد ذكرى غبطة ماضيه: "يجب أن نعامل كل ألم باحتقار، فالألم الذي يضمننا أشد الضني لا يدوم إلا وقتاً قصيراً والألم الذي يتمكن من جسدنا مدة طويلة لا يحدث إلا غمّاً طفيفاً" (بران، 1999، ص 96).

فالأبيقوري هو الساعي إلى بلوغ السكينة (Ataraxie)، لذلك يحاول أن يحذف كل أسباب الاضطراب الذاتي كالأفكار

لقد ساوى أبيقور بين اللذة والسعادة، فبالنسبة له فقد قصد اللذة تلك التي تدوم حياة كاملة. لذلك علينا أن نكون مستعدين لتحمل الألم من أجل لذة قادمة أكبر، ويجب أن تجعل اللذة الإنسان حراً سيداً لنفسه (Maries, 1966, p 96).

فقد أكد أبيقور أن لذائذ العقل تتميز عن لذائذ الجسم، بأنها تمكنا من أن ندرّب أنفسنا على التفكير في اللذة أكثر من التفكير بالألم، ولهذا نكون أكثر سيطرة على زمام اللذائذ العقلية منا على اللذائذ الجسدية (ستيس، 2008، ص 29).

ولقد ميز أبيقور بين اللذائذ "الفاعلة" واللذائذ "القابلة" أي اللذائذ "الحركية" واللذائذ "السكونية"، فاللذائذ الحركية تتألف من بلوغ غاية منشودة، على أن تكون الرغبة السابقة لبلوغ الغاية مصحوبة بالألم؛ أما اللذائذ السكونية فتكون في حالة التوازن التي تنتج عن حالة ما تتعلق به الرغبة لو امتنع وجوده. ولهذا ينتهي به الرأي من الوجهة العملية إلى اعتبار التخلص من الألم لا قيام اللذة، هدفاً للرجل الحكيم؛ فقد تكون المعدة أساساً لكل شيء.

ولكن آلام أوجاع المعدة ترجح لذائذ النهم، وبناءً على ذلك أخذ أبيقور نفسه بالعيش على الخبز يضيف إليه أيام المواسم قليلاً من الجبن وأما الرغبة في الثروة والجاه وأمثالها فحزب من الحماسة، لأنها تبتث القلق في نفس الإنسان، حتى يستطيع أن يستسلم للرضى "إن أعظم الخير هو الحكمة، فهي أنفس من كل شيء حتى من الفلسفة" (طرابيشي، 2006، ص 41)، كما جاء في تعاليم أبيقور أن من سمات الرجل الحكيم أن يحاول العيش مستوراً عن الأنظار، حتى لا يكون له أعداء.

أما موقفه من الفلسفة فيقوم على فهمه للفلسفة بأنها نظام عمل يراد به الحصول على حياة سعيدة، ولا تحتاج إلا إلى الإدراك الفطري السليم، لا إلى منطق أو رياضة أو غيرها من الدراسات الدقيقة التي قام وأوصى بها أفلاطون، لذا تراه يستحث تلميذه وصديقه الشاب "فيتوفليس" أن يفر من ضروب الثقافة.

فكان من النتائج الطبيعية التي ترتبت على مبادئه أن أوصى بأن ننسحب من الحياة العامة لأن بمقدار ما يحصل عليه الإنسان من القوة يزداد عنده أولئك الذين يحقدون عليه ويؤدون أن تقع في الأذى.

تطلب أمراً ميتافيزيقياً مثالياً، بل ستطلب منظومة أخلاقية تشبهها في ماديتها وواقعيتها، ومع ذلك لم يعدم وجود أخلاق سامية في منظومته، ولم يكن يرى أن بين اللذة وبين البهجة التي يطلبها تعارضاً أو نفوراً، فمثلاً هو يقول: "من المحال العيش في بهجة بدون أن نعيش في فطنة وشرف وعدل، ولا يمكن مرة أخرى العيش في فطنة ولا شرف ولا عدل، ومن لا يحيا حياة فاضلة لا يمكن أن يحيا حياة بهيجة".

وعندما يطلب منه أن يشرح ما هي البهجة فإنه يتدرك أمره ويقول: "ليست البهجة بالشيء السيء في ذاته، ولكن الوسائل التي تسبب بعض المباحج تجلب معها اضطرابات قد تكون أعظم من المباحج مرات عديدة" (أبو حسين، 2004، ص 131).

جعل أبيقور الأحاسيس هي الحكم والمعيار الصادق الذي يجعلك تميز من بين الزائف والحقيقي من الذات التي تتصل بها. لذلك لو تغاضيت عن أي إحساس وعجزت عن التمييز بين نتيجة الرأي بالنسبة للمظهر الذي ينتظر تأييداً، وذلك الذي يعطي بالفعل الإحساس أو الشعور فالجأ إلى إحساسك فسيعطيك الرأي الصائب أفضل من الخلط في الآراء أو الحدوس العقلية التي لن تقطع شكك بين الخطأ والصواب.

فاللذة هي لذة فيزيائية بالمعنى الاشتقاقي والدقيق للكلمة أي طبيعية، وليست اللذات الروحية كما قلنا سابقاً إلا تنوعات من هذه اللذة الطبيعية، وهنا يأتي شقاء الإنسان من الظن أي التخلي عن ما هو مطابق للطبيعة "ليس البطن هو الذي لا يشبع كما يعتقد ذلك الكثيرون، بل الظن الخاطئ الذي لدينا من سعته اللامحدودة" (أبو حسين، 2004، ص 132).

أما الدور الذي تقوم به النفس التي تتحلّى بالرغم من كونها جسمية هو انتشارال الجسد من عدم استقرار الضغط والضرورة "لو كانت كل لذة تستطيع أن تتراكم ولو كانت تدوم خلال الزمان ولو كانت مرتبطة بكل التجمع الذري أو بالأجزاء الرئيسية من طبيعتنا لو كان ذلك لما تباينت اللذات فيما بينها" (أبو حسين، 2004، ص 137).

فكيف يستطيع الذكاء الإنساني مع الصدمات التي تهيج الجسد بفعل الألم أن يحافظ على ذاته خالياً من الاضطراب مع سهره على خيره وصحته البدنية؟

حسب أبيقور يمكن فعل ذلك بتجاهل الآلام الجسدية

والاضطراب الطبيعي كالمريض، وقد حاول أبيقور أن يعيش حياته سعيداً ووقوراً وكان يكتفي بقليل من الطعام الزاهد للوصول إلى هذه الغاية ولا يخاف الموت أو الألم. وحتى أنه أوصى الحكيم بعدم الزواج وإنجاب الأطفال. ويقول: إن العدالة الطبيعية تسعى أن تجنب البشر أن يؤدي بعضهم بعضاً وهي لا شيء في ذاتها فهي ليست سوى تعاقد.

وقد حافظ أبيقور على تفاؤله حتى عندما كان يتكلم عن الألم "الألم لا يستثمر في الجسد طويلاً فالألم الحاد يوم مدة قصيرة جداً والألم الذي يمكن تحمله، ولكن يتجاوز لذة الجسد ويدوم بضعة أيام" (بران، 1999، ص 96).

كيف أقام أبيقور فلسفته الأخلاقية على أساس مادي:

عادة ما تقام الفلسفات الأخلاقية على أساس ميتافيزيقي مثالي، فالعدالة مثلاً هي أحد المثل الأفلاطونية أو إحدى الكليات الأرسطية أو إحدى القيم الأخلاقية السقراطية، والحرية هي قيمة يستمدها الإنسان من العقل حسب كانت، فكيف يمكن لأبيقور الذي لا يقيم وزناً لهذه الفضائل "كالعدالة"؟ أن يقيم فلسفة عملية أخلاقية؟

كان أبيقور واضحاً، منذ البدء، فقد نظر إلى حاجات الإنسان لا إلى تطلعاته، فلو دققنا النظر في فلسفته نجد أن غاية الحياة هي "البهجة"، ولا شيء غيرها. ما دام معيار "الخير" هو البهجة فلا يمكن لأي بهجة أن تكون أفضل أو أسوء من غيرها. ولكن يمكن أن تكون أكبر منها أو دونها. فأبيقور يخلص على أساس الإحساس إلى نتيجة مفادها "أن بداية وأصل كل الخير هو متعة المعدة، بل لا بد من إرجاع الحكم والثقافة إلى هذه" (ورنر، 1985، ص 189).

المهم إن الإحساس، بالنسبة لأبيقور، يتقدم على العقل والمعرفة، فالإحساس هو الأساس الذي يبني عليه فلسفته فليس هناك من علة في طبيعه الأشياء لماذا سيكون صالحاً عن أن يكون طالحاً، سوى أحسن علة وهي أن يستمتع بمزيد من البهجة لو كان صالحاً، والوسيلة لبلوغ هذا الهدف ستجدها في المعيشة المقتصدة وفي الصداقة في مباحج الحديث، بل وفي تأمل الآلهة الذين يحكمهم لا يبالون على الإطلاق بأمر البشرية.

عندما أقام أبيقور فلسفته على المادة، وعلى الذرة، في انحرافاتهما، كان يعلم تمام العلم أن هذه الفلسفة المادية لن

ليعرفوا كيف عليهم أن يسلكوا في حياتهم اليومية. فجاءت المدارس والمذاهب الأخلاقية كالرواقية والأبيقورية والكلابية والشكّية وغيرها لتسد الفراغ الحاصل، ولتلبّي حاجة الناس إلى الحكمة العملية، وإلى طرق مناسبة للعيش.

أما انقسام الناس حول أبيقور من معجبين ومتحمسين إلى ناقدين وساخرين، فانه يدل على قوة تأثير أبيقور والأبيقورية في المجتمع اليوناني في زمنه، فقد هاجمته كل من الرواقية والمسيحية لدعوته إلى التلذذ بالعيش وإلى البهجة وإتقان فن الحياة، بينما أيده الآخرون الذين كانوا يرون فيه مثلاً للحكيم الذي علمنا فن الحياة، وخلص الناس من الخوف من الموت، والآلهة، وأرشادهم إلى طريقة طبيعية في عيش الحياة من دون أن يلزمهم بشرائع ما وراثية.

لذا فإن النتائج التي خلصنا إليها تتلخص في مجموعة من المبادئ التي اختطها أبيقور لنفسه ولفلسفته:

1- لا تفصل الحكمة العملية عن الفلسفة النظرية، ولكن يمكن توجيه الفلسفة ذاتها نحو إنتاج حكمة عملية "الفلسفة الأخلاقية" مثل التي أنتجها أبيقور.

2- الفلسفة بنت عصرها، وكان أبيقور ابناً لعصره حقاً، حينما أنتج فلسفة عملية للبناء أثينا واليونان يدلهم فيها على الهدوء والبهجة في زمن مضطرب يبحث فيه الفرد عن طريقة وأخلاق ليعيش حياته.

3- انسجم أبيقور مع ذاته ومع مبادئ الفلسفة الذرية المادية التي أخذها من ديمقريطس بعد أن قام بتعديلات طفيفة عليها، لتتناسب إيمانه بحرية الإرادة الإنسانية.

4- عاش أبيقور حياته وفقاً لتعاليمه، فلم يكن جشعاً طماعاً وكان ينعم بالقليل من الطعام، وبالكثير من الصداقة والأصدقاء والمريدين.

5- يمكن لفلسفته أن تنتج فلسفة أخلاقية طبيعية تتسجم فيها فلسفة الأخلاق المادية لتلك الفلسفة، حيث أقامها أبيقور على الإحساس بالمادة والذرات ولم يترك العقل ولا البعد النظري أن يسودانها، فأفصح في إنتاج فلسفة أخلاقية مبنية على أصل مادي طبيعي لا ميتافيزيقي.

والانشغال بأمر أكثر أهمية، فالألم ليس باقياً في الجسم بينما تدوم اللذة والسعادة والوقار طوال العمر. فالآلام الجسدية لا شيء في مقابل المآسي والمصائب التي نقاسي منها والتي تنتج عن البغض والحسد والاحتقار.

المرتکز الأول الذي أقام أبيقور فلسفته عليه هو الطبيعة، المكون الأول من ذرات تتحرك، وعند حركتها تتكون الأجسام والجواهر، وبما أن الإنسان ابن لهذه الطبيعة فيصّل الإحساس فيها ومنها، ومن خلال هذا الإحساس الطبيعي الموجود في الإنسان والحيوان يدرك الإنسان للذة ويحاول أن يتجنب الموت.

وتكمن اللذة في المعدة، ويمكن للإنسان أن يقرر نوع اللذات التي يتلذذ بها بإرادة حرة ولذتها انحراف الذرات في الطبيعة. وأهم ما يمكن أن ينشده الإنسان هو تجنب الألم لذلك يطلب اللذات التي لا تسبب ألماً، وإذا كان هناك ألم معين على الإنسان أن يتحمّله بطبيعة خاطر، وأن يتجنب اللذات التي تولد ألماً أكبر منها ويسعى إلى حياة هائلة سعيدة.

أما المرتکز الثاني، فهو تجنب الخوف من الآلهة، ومن الموت، وبذلك يخفض أبيقور قلق الإنسان وخوفه من الموت، ولا يسهم أبيقور في وعده بالخلود وانشغاله بالمورثيات والغيبيات لأن الإنسان هو كائن طبيعي يحس ويشعر لذا لا منفعة من انشغاله بالميتافيزيقيا.

النتائج:

رأينا كيف أن أبيقور كان يُسخر فلسفته ومعرفته لتخدم نظريته الأخلاقية وكنا نتساءل هل تبنى أبيقور الفلسفة المادية الذرية تحديداً لينتج فلسفته الأخلاقية أم فعل العكس، أنتج فلسفة أخلاقية في البدء وعاد ربطها بالفلسفة المادية التي كان يؤمن بها لتكون مساندة له في الإقناع والبرهان؟

لقد ذهب الفكر الهلنسي بعد سقراط باتجاه تقديم الحكمة العملية على الفلسفة النظرية فقط انهار الواقع الموضوعي والسياسي بعد الإسكندر الكبير 323 ق.م، وبدأت الديمقراطية والمدنية اليونانية تفقد الأمل وساد نوع من الفوضى فبحث الناس عن الأمان في الأخلاق وعن طريق الخلاص الفردي

المصادر وال

مراجع

- إبراهيم، زكريا، 1960، *المشكلات الخلقية*، القاهرة، مكتبة مصر.
- أبو حسين، محمد رزق موسى، 2004، *الفلسفة الأبيقورية أصولها وتطوراتها*، عمان، عالم الكتب الحديث للنشر.
- أبو ريان، محمد، 1974، *تاريخ الفكر الفلسفي: أرسطو والمدارس المناظرة*، ج2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أمين، عثمان، 1971، *الفلسفة الرواقية*، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
- بران، جان، 1992، *الفلسفة الأبيقورية*، تر وتعليق جورج ابو كم، دمشق، الأجدية للنشر.
- بوناسي، بيار، 1980، *أبيقورس*، تر: بشارة صارجي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر.
- توماس، هنري، 1964، *أعلام الفلاسفة وكيف نفهمهم*، تر: متري أمين، القاهرة، دار النهضة العربية.
- توماس، هنري، ودانالي توماس، 1970، *المفكرون من سقراط إلى سارتر*، تر: عثمان نويه، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
- جنجن، اولف، 1976، *المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية*، تر: عزت قرني، القاهرة، دار النهضة.
- جديدي، محمد، 2019، *الفلسفة الإغريقية: المرحلة الهلنسية*، ط2، الرباط، دار الأمان.
- ديورانت، ول، 2001، *قصة الحضارة: م3 حياة اليونان*، تر: محمد بدران، القاهرة، دار الهيئة العامة للكتاب.
- راسل، برتراند، 2017، *تاريخ الفلسفة الغربية: ج1، الفلسفة القديمة*، تر: زكي نجيب محمود، بيروت، دار التنوير.
- ستيس، ولتر، 2008، *تاريخ الفلسفة اليونانية*، القاهرة، دار الكلمة.
- سعيد، جلال الدين، 1991، *أبيقور: الرسائل والحكم*، بيروت، دار العربية للكتاب.
- طرابيشي، جورج، 2006، *معجم الفلاسفة*، ط3، بيروت، دار الطليعة.
- فرنز، شارل، 1968، *الفلسفة اليونانية*، تر: تيسير شيخ الأرض، بيروت، منشورات الأنوار.
- كارس، جيمس ب.، 1998، *الموت والوجود: دراسة لتصورات الفناء الانساني في التراث الديني والفلسفي العالمي*، تر: بدر الأديب، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- كانت، أمانويل، 1980، *تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق*، تر: د. عبد الغفار مكاوي، ط2، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب.
- كرم، يوسف، 2016، *تاريخ الفلسفة اليونانية*، القاهرة، آفاق للنشر والتوزيع.
- لوكريتيوس، *في طبيعة الأشياء*، تر: علي عبد التواب علي وآخرون، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- مراد، محمود، 2001، *مفهوم الحرية في الفلسفة اليونانية*، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر.
- ورنر، ريكس، 1985، *فلاسفة الإغريق*، تر: عبد الحميد سليم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المراجع الأجنبية

Maries, Julian, 1966, *History of Philosphy*, New York, Doven Publication.

Sauders, Jason L., 1966, *Greek and Roman Philosophy After Aristotle*, London, Collier Macmillan Limited.

Can a Materialistic Philosophy Produce a Moral System? "Epicurean Model"

*Georg El far**

ABSTRACT

The main problem in this research was the answer to the question posed about the possibility of the existence of an ethical system based on a materialistic philosophy and not on an idealistic and metaphysical philosophy as was customary in establishing ethical systems. It has nothing to do with idealism or metaphysics. Rather, Democritus adopts the atomic materialist philosophy as its theoretical basis and does not depend on reason or divine laws as a criterion and judgment in moral issues, but rather nature, the sense of pleasure and the avoidance of pain as a spontaneous judgment of human and animal life alike. Herefore, this philosophy resorts to liberating man from the fear of death and the fear of the gods, so that this fear and anxiety do not spoil human life and deprive him of enjoying life itself. We have revealed in this research that the pleasure that the Epicureans are talking about is mainly the pleasure of the stomach, but it is not a reckless and exaggerated pleasure, but rather a pleasure that seeks simplicity and seeks to establish a calm life that is not disturbed by the pain resulting from the pursuit of more pleasures, the results of which are greater pain. The Greek philosopher Epicurus, who lived in the fourth century BC and a contemporary of both the Greek philosopher Aristotle and the philosopher Zeno, the founder of Stoicism that opposed his philosophical school, had established Epicureanism in Athens, Greece, to respond to the questions of the Greek public about the necessities of the historical stage and the decline of civilization after the death of AlexanderMacedonian in 324 BC.

Keywords: Epicurus, Materialism, Ethics, Hellenistic Period, Metaphysics.

* Department of Philosophy, School of Arts, The University of Jordan.
Received on 27/3/2022. Accepted for Publication on 26/10/2022.